بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وصحبه الأبرار الأطهار وبعد؛؛

لا زلنا نعيش في رحاب سيرة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وحديثنا اليوم عن

النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم

الأسوة الحسنة

حاله مع أهله نموذجا

خيركم خيركم لأهله

لقد كرم الله نبيه وحبيبه ومصطفاه بالأخلاق، فقال وهو أصدق القائلين ((وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)) (٤ القلم) وقال هو صلى الله عليه وسلم عن نفسه إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ (مسند الإمام أحمد) فرسالته كانت للأخلاق، ولتهذيب الأخلاق وهو القائل صلى الله عليه وسلم عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِّ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: «الْمُتَكَبِّرُونَ» (الترمذي بسند صحيح) ولما كانت السلوكيات والأخلاق متشعبة، منها ما يتعلق بالبيت ومنها ما يتعلق بالمعاملات مع الناس، فقد شدد النبي صلى الله عليه وسلم عن مسألة الأخلاق داخل البيت، وأكد أن البيت هو الأساس، وهو النواة، فإن صلحت أخلاق الفرد في بيته، مع أهله وولده وزوجه صلح في التعامل مع غيره، ونجح في التعامل مع الناس، لذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم في توجيه عظيم عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي، وَإِذَا مَاتَ صَاحِبُكُمْ فَدَعُوهُ» (الترمذي بسند صحيح)

خيركم أي أفضلكم وأقربكم مني وأشبهكم بي خلقا، أرأفكم وأرعاكم وأكرمكم لأهله، ولرحمه، وأنا النبي الخاتم الأسوة الحسنة لمن كان يرجو لقاء ربه، أرحمكم بأهلي، كما روت أم المؤمنين عائشةَ – رضي الله عنها- أنَّها سُئِلت: ما كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يعمَلُ في بيتِه ؟ قالت: كان يَخيطُ ثوبَه ويخصِفُ نعلَه ويعمَلُ ما يعمَلُ الرِّجالُ في بيوتِهم (ابن حبان بسند صحيح) فكان لا يستنكف صلى الله عليه وسلم أن يقوم بمهام بيته، ولا أن يساعد أهله، ويقول في الحديث صلى الله عليه وسلم دِينارٌ أنْفَقْتَهُ في سَبيلِ اللهِ، ودِينارٌ أنْفَقْتَهُ في رَقَبَةٍ، ودِينارٌ تَصَدَّقْتَ به علَى مِسْكِينٍ، ودِينارٌ أنْفَقْتَهُ علَى أهْلِكَ؛ أعْظَمُها أجْرًا الذي أنْفَقْتَهُ علَى أهْلِكَ. (صحيح مسلم) وكأن النبي صلى الله عليه وسلم يوجه رسالة مفادها، أن أعظم ما أنفقت هو ما أنفقت على أهلك، فهو أفضل وأعظم من الصدقة أو عتق الرقبة، وهو المقدم، لأن القاعدة والأصل أن تبدأ بمن تعول!!

يعلق الإمام النووي رحمه الله على هذا الحديث بقوله: وَكَانَ مِنْ أَخْلَاقِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ جَمِيلُ الْعِشْرَةِ دَائِمُ الْبِشْرِ، يُدَاعِبُ أَهْلَهُ، وَيَتَلَطَّفُ بِهِمْ وَيُوسِعُهُمْ نَفَقَتَهُ، وَيُضَاحِكُ نِسَاءَهُ حَتَّى إِنَّهُ كان يسابق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، يَتَوَدَّدُ إِلَيْهَا بِذَلِكَ، قَالَتْ: سَابَقَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَبَقْتُهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ أَحْمِلَ اللَّحْمَ، ثُمَّ سَابَقْتُهُ بَعْدَ مَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ فَسَبَقَنِي، فَقَالَ «هَذِهِ بِتِلْكَ» وَيَجْتَمِعُ نِسَاؤُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي بَيْتِ الَّتِي يَبِيتُ عِنْدَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَأْكُلُ مَعَهُنَّ الْعَشَاءَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، ثُمَّ تَنْصَرِفُ كُلُّ وَاحِدَةٍ إِلَى مَنْزِلِهَا، وَكَانَ يَنَامُ مَعَ الْمَرْأَةِ مِنْ نِسَائِهِ فِي شِعَارٍ وَاحِدٍ، يَضَعُ عَنْ كَتِفَيْهِ الرِّدَاءَ وَيَنَامُ بِالْإِزَارِ، وَكَانَ إِذَا صَلَّى الْعِشَاءَ يَدْخُلُ مَنْزِلَهُ يَسْمُرُ مَعَ أَهْلِهِ قَلِيلًا قَبْلَ أَنْ يَنَامَ، يُؤَانِسُهُمْ بِذَلِكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فكان من هديه صلى الله عليه وسلم أنه كثير التلطف والبشر، يسامرهن، ويتقي الله

فيهن فهو القائل في الحديث الطويل في حجة الوداع اتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ... (صحيح مسلم) ومن وصاياه صلى الله عليه وسلم عَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلى الله عَليه وَسَلم قَالَ: سَأَلَهُ رَجُلٌ مَا حَقُّ الْمَرْأَةِ عَلَى الزَّوْجِ؟ قَالَ: تُطْعِمُهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، وَلاَ تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلاَ تُقَبِّحْ، وَلاَ تَهْجُرْ، إِلاَّ فِي الْبَيْتِ. (مسند الإمام أحمد وأبي داود بسند حسن) أن تطعمها مما تأكل منه، وأن تكسوها،إذا وسع الله عليك، ولا تضرب وجها فإن الضرب للبهائم، وهو سلوك الهمج والرعاع، ولا تقبح ولا تفحش في القول، ولا تسب ولا تعير بفقر، أو نسب، أو معرة، ولا تهجر إلا في البيت كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا هدى رسول الله وتلك سنته، ومن رغب عن سنته فليس منه صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله في النساء، وأعلموا أن المرأة خلقت من ضلع أعوج، لا يمكن إصلاحه بالقوة، وإنما الصلاح أن تميل أنت مع الضلع، في غير اعوجاج حتى تستقيم الأمور، وحتى تسير الحياة.

لطيفة:

في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (التحريم) عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم شَرِبَ عند زينبَ بنت جحشٍ عسلاً، فعلمت به عائشة فتواصت هي وحفصة أيَّةٌ، وفي رواية: أيَّتُنا، دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلْتقل: إني أجدُ منك ريحَ المَغَافِير، أكلت مغافير؟ فدخل على إحداهما فقالت له ذلك، فقال: «لا بل شربت عسلاً عند زينب ولن أعود». وفيه أيضاً عن عائشة أن التي سقته العسلَ حفصة، وأَن التي تواصت هي وإياها سَوْدَة والمغافير: بالغين المعجمة، جمع مُغفُور بضم الميم والفاء: صَمْغُ بعضِ الشجر يُحَلُّ بالماء وله رائحة كريهة. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَكره أن يُوجد منه الروائح، فصدَّق عليه الصلاة والسلام القائلة له ذلك من أزواجه، وحرَّم العسل على نفسه. انظر الحديث في الصحيحين

وفي لفظ البخاري عن أمنا عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَيَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلًا، فَتَوَاصَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ: أَنَّ أَيَّتَنَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلْتَقُلْ: إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ، أَكَلْتَ مَغَافِيرَ، فَدَخَلَ عَلَى إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: «لاَ، بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَلَنْ أَعُودَ لَهُ» فَنَزَلَتْ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ} [التحريم: ١]- إِلَى - {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ} [التحريم: ٤] لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ: {وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ} [التحريم: ٣] لِقَوْلِهِ: «بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا» (صحيح البخاري) فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان ببشريته يحاول أن يجبر بخاطر زوجاته جميعا، وأن يهش لهن، والا يغضب إلا فيما يغضب الله، والا يبالغ في غضبه منهن صلى الله عليه وسلم

السيدة خديجة – رضي الله عنها- سيدة نساء العالمين

أمنا خديجة رضي الله عنها لها من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة، لم تدنو منها أي أمرأه من أزوجه ولا السيدة عائشة رضي الله عنها، اللهم كان من حب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم للسيدة فاطمة، مع الفارق فتلك ابنته وهذه زوجته!! لم تكن الأجمل ولا الأصغر، لكن كانت الأوقر والأعظم، وقد أقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ولا يعرف الفضل إلا أهل الفضل، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا، فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ، قَالَتْ: فَغِرْتُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا، قَالَ: " مَا أَبْدَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ " (مسند الإمام أحمد بسند صحيح) فلم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم في حياتها، فقد أغنته عن الدنيا كلها، برغم سنها لكنها واسته بمالها، ونفسها وكل ما تملك ورزق منها الولد فكل أولاده منه عدا

إبراهيم من مارية رضي الله عنها، لم لا وهي التي وقفت في وجه أعصار مكة تواجه الجميع مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتربط على قلبه وتقول له أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ على نَوَائِبِ الحَقِّ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ به خَدِيجَةُ حتَّى أَتَتْ به ورَقَةَ بنَ نَوْفَلِ بنِ أَسَدِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ قُصَيٍّ، وهو ابنُ عَمِّ خَدِيجَةَ؛ أَخُو أَبِيهَا، وكانَ امْرَأً تَنَصَّرَ في الجَاهِلِيَّةِ، وكانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العَرَبِيَّ، فَيَكْتُبُ بالعَرَبِيَّةِ مِنَ الإنْجِيلِ ما شَاءَ اللَّهُ أنْ يَكْتُبَ، وكانَ شَيْخًا كَبِيرًا قدْ عَمِيَ، فَقالَتْ له خَدِيجَةُ: أيِ ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أخِيكَ، فَقالَ ورَقَةُ: ابْنَ أخِي، مَاذَا تَرَى؟ فأخْبَرَهُ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ما رَأَى، فَقالَ ورَقَةُ: هذا النَّامُوسُ الذي أُنْزِلَ علَى مُوسَى، يا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، أكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟ فَقالَ ورَقَةُ: نَعَمْ؛ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بمِثْلِ ما جِئْتَ به إلَّا عُودِيَ، وإنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا،ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ ورَقَةُ أنْ تُوُفِّيَ... (صحيح البخاري) إنك تصل رحمك تسرية من أمنا خديجة على قلب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنت الصادق الأمين، تحمل المحتاج وتعينه، وتبذل كل ما لديك لضيوفك، وتعين على النوائب والأزمات، ولم تكتفي بمجرد الكلمات أو الدعم النفسي، بل أردت أن تثبته على طريقه فذهبت به إلى عالم نحرير، وهو ورقة بن نوفل رضي الله عنه الذى بشر بنبوة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا النموذج للمرأة الصالحة، التي تعين على نوائب الدهر، وتقف مع زوجها في وقت الأزمات، وهنا النبي صلى الله عليه وسلم يبين أن الجمال الحقيقي هو جمال الروح، جمال العقل والتفكير والمنطق، فخديجة رضوان الله عليها وإن لم تكن الأصغر والأجمل لكنها الأعقل والأذكى والأقوى، كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمثابة الأم والأخت والزوجة والبنت والحبيبة، وهذا هو النموذج الأمثل للمرأة

الصالحة التي قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ (صحيح مسلم)

السيدة عائشة – رضي الله عنها- أحب النساء لقلب النبي بعد خديجة

كانت السيدة عائشة رضي الله عنها من أحب النساء لقلب النبي صلى الله عليه وسلم، لذكائها وفطنتها، ولحب النبي صلى الله عليه لأبيها، فهو الصديق وهو المقرب لقلب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الرفيق في رحلة الهجرة، والرفيق في كفاح الدعوة، وخليفة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان من ذكاء سيدنا عائشة رضي الله عنها أن المواقف لا تمر عندها مرور الكرام، وأنها تتعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعرف ما يفرحه وما يغضبه، وكان النساء يغرن منها، ويهبن سطوتها وقوتها، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ولو تتبعت جل أحاديث الصحيحين والسنن ستجد لأمنا عائشة رضي الله عنها نصيب الأسد في رواية تلك الأحاديث، خصوصا فيما يتعلق بأحاديث الفقه وفقه المرأة على وجه التحديد.

وعنها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي، كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ، أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَوَّى ثِيَابَهُ - قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ - فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ فَقَالَ: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ» (صحيح مسلم) وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلاعبها ويداعبها ويستشيرها ففي الحديث يقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم «إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى» قَالَتْ فَقُلْتُ: وَمِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ قَالَ: " أَمَّا إِذَا كُنْتِ

عَنِّي رَاضِيَةً، فَإِنَّكِ تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ وَإِذَا كُنْتِ غَضْبَى، قُلْتِ: لَا، وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ " قَالَتْ قُلْتُ: أَجَلْ، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ (متفق عليه واللفظ لمسلم)

يعلق أحد شراح الحديث على هذا الحديث فيقول:

ضرَبَ لَنا رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أرْوعَ الأمْثالِ للأَخْلاقِ والآدابِ والحُبِّ والوفاءِ معَ الأهْلِ، فكانَ خيرَ النَّاسِ لأهْلِه.

وفي هذا الحديثِ تَقولُ أمُّ المؤمِنينَ عائِشةُ رَضيَ اللهُ عنها: قالَ لي رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «إِنِّي لأَعلَمُ إذا كُنتِ عنِّي راضِيةً، وَإذا كُنتِ عليَّ غَضْبى»، وذلِكَ باستِقراءِ الأحْوالِ والقَرائنِ، ويريدُ بالرِّضا والغَضَبِ ما يكون في العادةِ بين الرَّجُلِ وزوجتِه، فسألَتْه: مِن أيِّ شيءٍ تَعرِفُ كَوني راضِيةً عَنكَ أو غيرَ راضِيةٍ: هلْ بالوَحيِ أوْ هُناكَ عَلامةٌ؟ فقالَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «أمَّا إذا كُنتِ عنِّي راضِيةً، فإنَّكِ تَقولينَ» حالَ المحاوَرةِ مَعي: «لا ورَبِّ محمدٍ»، أيْ: أنَّها تذكُرُ اسمَه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم صراحةً حالَ قَسَمِها باللهِ عزَّ وجَلَّ، «وإذا كُنتِ غَضْبى»، أي: غَيرَ راضيةٍ مِن أيِّ وجهٍ مِن الوُجوهِ الدُّنيَوِيَّة، «قُلتِ» لي حالَ المحاوَرةِ مَعي: «لا وَرَبِّ إبراهيمَ»، أي: أُقسِمُ وأحلِفُ بربِّ إبراهيمَ، وفي اختيارِ عائِشةَ رَضِيَ الله عنها ذِكرَ إبراهيمَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ دونَ غيرِه

من الأنبياءِ: دَلالةٌ على مزيدِ فِطنَتِها؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أَولى النَّاسِ به، كما نَصَّ عليه القرآنُ، فلمَّا لم يكن لها بُدٌّ من هَجرِ الاسمِ الشَّريفِ أبدَلَتْه بمن هو منه، بسبَبِلٍ؛ حتى لا تخرُجَ عن دائرةِ التعَلُّقِ في الجملةِ.

فصَدَّقَت أمنا عائشةُ رَضِيَ اللهُ عنها على ما قاله النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وطريقةِ قَسَمِها في حالِ الرِّضا والغَضَبِ، ثم أقسَمَت باللهِ أنَّها ما تهجُرُ ولا تترُكُ إلَّا اسمَه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؛ لغَضَبِها حالَ غَيرتِها، ولكنَّ محبَّتَها للنبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ثابتةٌ لا تَتَغيَّرُ

بحالٍ.

والحَصرُ في قَولِها: «ما أهْجُرُ إلَّا اسْمَكَ» في غايةٍ من اللُّطفِ في الجوابِ؛ لأنَّها أخبرت أنَّها إذا كانت في غايةٍ من الغَضَبِ الذي يسلُبُ العاقِلَ اختيارَه، لا يُغَيِّرُها عن كمالِ المحبَّةِ المُستَغرِقةِ ظاهِرَها وباطِنَها، المُمتزِجةِ برُوحِها. وإنَّما عَبَّرَت عن التَّركِ بالهِجرانِ؛ لتدُلَّ به على أنها تتألمُ من هذا التركِ الذي لا اختيارَ لها فيه.

ومغاضَبةُ السيدة عائشةَ للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم هي من الغَيرةِ التي عُفِيَ عنها للنِّساءِ في كثيرٍ من الأحكامِ؛ لعَدَمِ انفكاكِهنَّ منها، ولولا ذلك لكان على عائشةَ في ذلك من الحَرَجِ ما فيه؛ لأنَّ الغَضَبَ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وهَجْرَه كبيرةٌ عظيمةٌ؛ ولهذا قالت: «لا أهجُرُ إلَّا اسْمَك»، فدَلَّ على أنَّ قَلْبَها وحُبَّها كما كان، وإنما الغَيرةُ في النِّساءِ لفَرطِ المحبَّةِ.

وفي الحَديثِ: إرْشادٌ إلى مُراعاةِ الرَّجُلِ أهْلَه ومَعرفةِ مواطِنِ رِضاهُم وغَضَبِهم.

وفيه: بَيانُ أنَّ الرِّضا والغَضبَ بيْن الأزْواجِ مِن الطِّباعِ البَشريَّةِ التي تقَعُ بيْن النَّاسِ جَميعًا، حتَّى بيْن الأنبياءِ ونِسائِهمْ؛ فَينبَغي الرِّفقُ في مَعرفةِ الأسْبابِ وحَلِّها.

وفي الحديث الصحيح يقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ " (صحيح البخاري)

كيف نقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم

إن الفلاح في الاقتداء بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بمنهجه في رحمته في يوم أرسلت السيدة أم سلمة طعاما لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت أمنا عائشة رضي لله عنها فكسرتها عائشة بدعوى أنها سقطت منها فأكل النبي وأمر أصحابه أن

يجمعوا الطعام وقال كلوا غارت أمكم !! وأمرها بصناعة غيره وقال طعام بطعام وأناء بإناء وفي الحديث الذي أخرجه أحمد وغيره تقول أمنا عائشة رضي الله عنها ما رأيتُ صانعةً طعامًا مثلَ صفيَّةَ، أَهْدَتْ إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم إناءً مِن طعامٍ، فما مَلَكْتُ نفسي أن كَسَرْتُه، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، ما كفارتُه؟ قال: إناءٌ كإناءٍ، وطعامٌ كطعامٍ.

هذا هو نبي الرحمة الذي يردف ابن عباس خلفه ويعلمه في أدب جم يا غلام الا أعلمك كلمات .. الحديث والذي يعلم الغلام عمر بن أبي سلمة وكان غلاما في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ويده تطيش في الطعام فيعلمه النبي صلى الله عليه وسلم في أدب وحسن خلق ويقول له «يَا غُلاَمُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» (الشيخان)

وفي حديث أبي زرع وهو حديث طويل ترويه أمنا عائشة رضي الله عنها قَالَتِ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: زَوْجِي أَبُو زَرْعٍ، وَمَا أَبُو زَرْعٍ، أَنَاسَ مِنْ حُلِيٍّ أُذُنَيَّ، (كساها ذهبا وما تتحلى به النساء وفية دلالة على كرمه وسعة ملكه) وَمَلَأَ مِنْ شَحْمٍ عَضُدَيَّ،(أي اسمنني وأحسن إلى) وَبَجَّحَنِي فَبَجِحَتْ إِلَيَّ نَفْسِي (أي فرحني وعظمني ورفع قدري فعظمت في عين نفسي)، وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشِقٍّ (دلالة على أنها أهل كانوا أهل غنم)، فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ (إبل وخيل وهي أعظم)، وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ،(أهل زرع وثمر وخير وفير) فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلاَ أُقَبَّحُ (لا يرد لي قولا)، وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبَّحُ (تنام نومة هنية لأن لديها من الخدم ما يغنيها)، وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنَّحُ (أي حتى أرتوي)، أُمُّ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا أُمُّ أَبِي زَرْعٍ، عُكُومُهَا رَدَاحٌ (دلالة على كثرة اللحم وكثرة الطعام)، وَبَيْتُهَا فَسَاحٌ (فسيح واسع قصر منيف بخدم وحشم وبساتين)، ابْنُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا ابْنُ أَبِي زَرْعٍ، مَضْجَعُهُ كَمَسَلِّ شَطْبَةٍ (خفيف كالسيف خفيف الوزن سريع الحركة نشيط)، وَيُشْبِعُهُ ذِرَاعُ الجَفْرَةِ (أنثى الماعز)، بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ، طَوْعُ أَبِيهَا، وَطَوْعُ أُمِّهَا، وَمِلْءُ كِسَائِهَا، وَغَيْظُ جَارَتِهَا (دلالة على حسن

التربية وحسن الخلق)، جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ، لاَ تَبُثُّ حَدِيثَنَا تَبْثِيثًا، (لا تفشي لنا سرا) وَلاَ تُنَقِّثُ مِيرَتَنَا تَنْقِيثًا (لا تفسد الطعام)، وَلاَ تَمْلَأُ بَيْتَنَا تَعْشِيشًا (لا تملأ البيت قمامة) .... قَالَتْ عَائِشَةُ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمِّ زَرْعٍ» (الشيخان)

نسأل الله أن يصلح أحوالنا وبيوتنا وأن يجعل على نهج الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم

جمع وترتيب العبد الفقير لربه راجي عفو مولاه

محمد سالم عباس الصعيدي الشافعي الأزهري

الأستاذ المشارك بالأزهر الأنور